١٥

قصص في الصّبر

عبد العزيز سيد هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة قصص الأخلاق

١٥

قصص في

إعداد

عبد العزيز هاشم

قِصَصٌ فِي الصَّبْرِ

صَبْرُ الفُقَرَاء

خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إلى الْمَدِينَةِ، وتَرَكُوا أَمْوَالَهُم ودِيارَهُمْ، وهَاجَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ إلى اللَّهِ ورَسُولِه. فَكَانَ بَعْضُ هَؤلاءِ الْمُهَاجِرِينَ ضَعِيفاً لاَ يَقْدِرُ على الْعَمَلِ، ولَيس لَهُ دَارٌ يسْكُنُهَا، وَلاَ مَأْوَى يَأْوِي إليه، فَكَانُوا يَنَامُونَ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمينَ، ويتَحَمَّلُونَ الْجُوعَ، ويَصْبِرُونَ على ذَلكَ، ويَجْتَهِدُونَ في طَاعَةِ اللَّه. وقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يقْتَرِبَ مِنْ هَؤلاءِ الْفُقَرَاءِ وَألاَّ يبْتَعِدَ عَنْهُمْ.

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، دَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ هَؤُلاءِ الصَّحَابَةِ الْفُقَرَاءِ جَالِسِينَ: وَأَحَدُهُمْ يقْرَأُ عليهِمُ القُرآنَ وهُمْ يسْتَمِعُونَ، فَلَمَّا قَدِمَ عليهِمُ الرَّسُولُ ﷺ سَكَتَ الْقَارِئُ، فَسَأَلَهُمْ ﷺ: «مَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟». فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! كَانَ قَارِئٌ لَنَا يَقْرَأُ علَيْنَا، فَكُنَّا نَسْتَمعُ إلى كِتَابِ اللَّه.

فَقَالَ ﷺ: «الحَمْدُ لِلَّه الَّذي جَعَلَ مِنْ أُمَّتي مَنْ أُمِرْتُ أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ». ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَهُمْ وأشَارَ إليهِمْ لِيلْتَفُّوا حَولَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «أبْشِرُوا يا مَعْشَرَ صَعَاليك (فُقَرَاء) الْمُهَاجِرِينَ! بِالنُّورِ التَّامِّ يومَ الْقِيامَةِ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِياءِ النَّاسِ بِنِصْفِ يومٍ، وذَاكَ خَمْسُمِئَةِ سَنَةٍ».

* * * * *

أَحَدٌ أَحَدٌ

كَانَ بِلالُ بْنُ رَبَاحٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ مِنْ أوَائِلِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الإسْلامِ، وواحِدٌ مِنَ الَّذِينَ ثَبَتُوا على الْحَقِّ وتَحَمَّلُوا مِنَ الْعَذَابِ مَا لا يحتَمِلُهُ إلا مُؤمِنٌ صَادِقُ الإيمَانِ.

وكَانَ الْمُشْرِكُونَ يأخُذُونَ بِلالاً فِي وقْتِ الظَّهِيرَةِ حِينَ اشْتِدَاد الْحَرِّ، فَيَطْرَحُونَهُ على ظَهْرِهِ فِي صَحَرَاءِ مكَّةَ الْمُحْرِقَةِ، ويَضَعُونَ على بَطْنِه صَخْرَةً عَظِيمَةً، ويجْعَلُونَ السُّفَهَاءَ والعَبِيدَ يطُوفُونَ بِهِ فِي طُرُقِ مكَّةَ، ويقُولُونَ لَهُ: لا تَزَالُ هكَذَا حتى تَمُوتَ؛ أو تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وتَعْبُدَ اللاَّتَ والعُزَّى.

وكَانَ بِلالٌ صَلْبَ الإيمَانِ قَوِيَّ العَقِيدَةِ، شَدِيدَ الصَّبْرِ؛ فَهَانَتْ عليه نَفْسُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وتَحَمَّلَ كُلَّ الْعَذَابِ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ، وكَانَ يَرُدُّ على الْمُشْرِكِينَ قَائِلاً: أَحَدٌ.. أحَدٌ. وظَلَّ على تِلْكَ الْحَالَةِ حتَّى اشْتَرَاهُ أَبُو بكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ وأعْتَقَهُ فَخَلَّصَهُ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وعَذَابِهِمْ.

لا تَسْتَعْجِلُوا

فِي بِدَايَةِ الدَّعْوةِ الإسْلامِيَّةِ.. لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ كَثِيراً مِنَ الأَذَى والتَّعْذِيبِ مِنْ مُشْرِكِي مكَّةَ، وجَاءَ خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ ومَعَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إلى الرَّسُولِ ﷺ يَشْكُونَ إليهِ مَا يتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ، ويطْلُبُونَ منْهُ أنْ يدْعُوَ لَهُمْ بِالنَّصْرِ، وقَالُوا: ألا تَسْتَنْصِرُ لَنا؟ ألا تَدْعُوْ لَنَا؟ فَأرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يعَلِّمَهُمْ دَرْساً فِي الصَّبْرِ والثَّبَاتِ وتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ فِي سَبِيلِ تَبْلِيغِ دَعْوةِ اللَّهِ تَعَالى ونُصْرَةِ دِينِهِ وشَرَائِعِه، فَقَالَ لَهُمْ: «قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيوضَعُ على

رَأسه، فَيُجْعَلُ نِصْفَين، ويُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مِنْ دُونِ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دِينِه».

ثُمَّ أخْبَرَهُمْ ﷺ بِنَتِيجَةِ صَبْرِهِمْ وتَحَمُّلِهِمْ، ومَا أعدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّصْرِ والْخَيرِ، فَقَالَ: «واللَّهِ! لَيتمَّنَّ هَذَا الأمْرُ؛ حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لا يخَافُ إلا اللَّهَ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». فَتحَمَّلَ الصَّحَابَةُ الأذَى وصَبَرُوا حتى جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.

* * * * *

الأمُّ الصَّابِرَةُ

قَبْلَ أنْ تَبْدأَ مَعْرَكَةُ الْقَادِسِيَّةِ دَعَتِ الْخَنْسَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو أوْلادَهَا الأرْبَعَةَ، وقَالَتْ لَهُمْ: يا بَنِيَّ! إنَّكُمْ أسْلَمْتُمْ طَائعِينَ، وهَاجَرْتُمْ مُخْتَارِينَ، واللَّهِ الَّذِي لا إلَه إلاَّ هُوَ إنَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ واحِدٍ كَمَا أنَّكُمْ بَنُو امْرَأةٍ واحِدَةٍ، مَا خُنْتُ أبَاكُمْ وَلاَ فَضَحْتُ خَالَكُمْ، وَلاَ هَجَّنْتُ حَسَبَكُمْ، وَلاَ غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ. وقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، واعْلَمُوا أنَّ الدَّارَ البَّاقِيَةَ خَيرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيةِ، يقُولُ اللَّهُ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

سَمعَ الأولادُ نَصِيحَةَ أمِّهم، ودَخَلُوا الْمَعْرَكَةَ وكُلُّهُمْ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً بشَجَاعَةٍ وحَمَاسٍ حتى اسْتُشْهِدُوا جَمِيعاً.

ولَمَّا عَلِمَتِ الخَنْسَاءُ بِمَقْتَلِ أولادهَا قَالَتْ: الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ، وأرْجُو مِنْ رَبِّي أنْ يجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِه.

وهكَذَا كَانَتِ الخَنْسَاءُ بِصَبْرِهَا هَذَا مِثَالاً رَائعاً لِكُلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ.

صَبْرُ أَيُّوبَ عليهِ السَّلامُ

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ أَيُّوبُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ غَنِيًّا، عِنْدَهُ أمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وأولادٌ كَثِيرُونَ، وكَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ، سَلِيمَ الصِّحَّةِ. فَأَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أنْ يبْتَلِيَهُ ويخْتَبِرَهُ؛ فَفَقَدَ جَمِيعَ أمْوالِهِ، وهَجَرَهُ أهْلُهُ، ومَاتَ أولادُهُ، وأُصِيبَ فِي جَسَدِهِ بِأمْرَاضٍ شَدِيدَةٍ، وابْتَعَدَ عَنْهُ أصْحَابُهُ وإخْوانُهُ.

فَقَابَلَ أَيُّوبُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ كُلَّ هَذهِ الابْتلاءَاتِ والْمَصَائبِ بِالصَّبْرِ والاحْتِسَابِ والحَمْدِ والشُّكْرِ للَّهِ، ولِسَانُ حَالِهِ يقُولُ عِنْدَ فَقْدِهِ أمْوالِهِ وأوْلادِهِ: الْحَمْدُ للَّهِ.. الْحَمْدُ للَّهِ. ولَمْ يَيْأسْ أَيُّوبُ أو يَتَضَايَقْ مِنْ طُولِ مَرَضِهِ وبَلائِهِ، بَلْ كَانَ يَتوجَّهُ إلى ربِّهِ قَائلاً: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وبَعْدَ طُولِ صَبْرٍ واحْتِسَابٍ كَشَفَ اللَّهُ بَلاءَ أَيُّوبَ؛ حَيْثُ أمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أنْ يضْرِبَ الأرْضَ بِرِجْلِهِ فَضَرَبَهَا، فَنَبَعَ مَاءٌ بَارِدٌ عِنْدَ قَدَمَيهِ، فَشَرِبَ مِنْهُ واغْتَسَلَ، فَذَهَبَ مَرَضُهُ، واسْتَرَدَّ عَافِيَتَهُ، وعَادَ إليهِ أهْلُهُ ومَالُهُ، وبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِمَا.

وأثْنَى اللَّهُ علَى أَيُّوبَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ لِصَبْرِهِ، فَقَالَ تَعَالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. وهكَذَا نَتعَلَّمُ مِنْ أَيُّوبَ ـ عليهِ السَّلامُ ـ الصَّبْرَ، فَهُوَ خَيْرُ مَثَلٍ وقُدْوَةٍ لِلصَّابِرِينَ.

* * * * *

أَصْبِرُ وأَحْتَسِبُ

مَرِضَ زَيدُ بْنُ أَرقَمَ - رَضِي اللَّهُ عَنْه - فَجَاءَهُ الرَّسُولُ ﷺ يزُورَهُ، وقَالَ لَهُ: «لَيسَ علَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ هَذَا بَـأْسٌ، ولَكِـنْ كَيفَ بِكَ إِذَا عُمِّرْتَ بَعْدِي فَعَمِيْتَ؟!».

فَقَالَ زَيدٌ: إِذَنْ أَصْبِرَ وَأَحْتَسِبَ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَنْ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ».

وبَعْدَ أَنْ مَـاتَ النَّبِـيُّ ﷺ أُصِـيبَ زَيـدٌ بِـالْعَمَى؛ فَصَـبَرَ واحْتَسَبَ. وبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ شَفَاهُ اللَّهُ، وَرَدَّ عليه بَصَرَهُ.

وهكَذَا يكُونُ جَزَاءُ كُلِّ مَنْ يتَّقِي اللَّهَ تَعَالى وَيَصْبِرُ على قَضَائه أَنْ يرْحَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، قَالَ تَعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]. وقالَ تَعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٦ـ ١٢٧].

* * * * *

صَبْرٌ وحِكْمَةٌ

كَانَ لأَبِي طَلْحَةَ الأنْصَارِيِّ وزَوجَتِه أُمِّ سُلَيْمٍ - رَضِي اللَّـهُ عَنْهمـا - ابْنٌ صَغِيرٌ، وذَاتَ يومٍ، مَرِضَ هَذا الطِّفْلُ، فَمَاتَ.

وكَانَ أَبُو طَلْحَةَ فِي سَفَرٍ، فَقَامَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ بِتَجْهِيزِ ابْنِهَا ولَـمْ تُخْبِـرْ أحَدًا بِذَلِكَ.

ولَمَّا عَادَ أَبُو طَلْحَةَ سَأَلَ زَوجَتَـهُ عَـنْ حَـالِ الغُـلامِ، فَلَـمْ تُفَاجِئْـهُ بِالْخَبَرِ، وقَالَتْ لَهُ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وأرْجُو أنْ يَكُونَ قَـد اسْـتَرَاحَ. ثُـمَّ قَدَّمَتِ العَشَاءَ لِزَوجِها، فَأكَلَ ثُمَّ تَزَيَّنَتْ لَهُ، وقَضَـى مَعَهَـا لَيلَـةً كَأَنَّهُمَـا عَرُوسَانِ.

وفِي الصَّبَاحِ قَالَتْ لَهُ أمُّ سُلَيْمٍ: يا أَبَا طَلْحَـةَ، أرأَيـتَ لَـو أنَّ قَومـاً أعَارُوا أَهْلَ بَيتٍ عَارِيَةً (سُلْفَةً)، فَطَلَبُـوا عَـارِيَتَهُم، أَلَهُـمْ أنْ يمْنَعُـوهُمْ؟ فَقَالَ لَهَا: لا؛ لَيسَ لَهُمْ ذَلِـك، إنَّ العَارِيـةَ مُـؤَدَّاةٌ إِلَـى أَهْلِهَـا. فأخْبَرَتْـهُ بِمَوْتِ ابْنِه، وقَالَتْ لَهُ: فَاحتَسِبِ ابْنَكَ.

فَذَهَبَ أَبُو طَلْحَةَ إلى الرَّسُول ﷺ، وأَخْبَرَهُ بِمَـا حَـدَثَ. فَقَـالَ لَـهُ الرَّسُولُ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهَ أنْ يَبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيلَتِكُمَا».

واستَجَابَ اللَّـهُ سُـبْحَانَهُ دُعَـاءَهُ، فَوَلَـدَتْ أُمُّ سُـلَيْمٍ طِفْـلاً آخَـرَ، فَجَاؤُوا بِهِ إلى الرَّسُولِ ﷺ فَمَضَغَ تَمْرَةً، وأخَذَ مِنهَا جُزْءًا، ووَضَعَهُ فِـي فَمِ الطِّفْلِ، وسَمَّاهُ: عَبْدَ اللَّه. وبَارَكَ اللَّهُ فِـي هَـذَا الطِّفْـلِ، فَخَـرَجَ مِـنْ نَسْلِهِ تِسْعَةُ أولادٍ كُلُّهُمْ حَفظَ القُرآنَ.

الصَّدْمَةُ الأُوْلَى

كَانَ لامْرأةٍ ولَدٌ، فَتَوَفَّاهُ اللَّـهُ. وذَاتَ يـومٍ، ذَهَبَـتِ الْمَـرْأةُ إلى الْمقَابرِ، وجَلَسَتْ عِنْدَ قَبْرِ ابْنِهَا، وأخذَتْ تَبْكي بُكَاءً شَدِيداً.

وبَينَمَا هِي تَبْكِيْ وتَنُوْحُ، مَرَّ علَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهـا: «اتَّقِـيْ اللَّهَ واصْبِرِي».

وكَانَتِ الْمَـرْأةُ لا تَعْـرِفُ النَّبِـيَّ ﷺ؛ فَلَـمْ تَسْـتَجِبْ لِكَلامِـهِ، وقَالَتْ لَهُ: إليكَ عَنِّي (ابْتَعِدْ)، فَإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي.

فَتَركَهَا النَّبِيُّ ﷺ، ومَضَى.

فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ: أمَا تَعْرِفينَهُ؟! إنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَتِ الْمَرْأةُ: مَا عَرَفْتُهُ.

وشَعَرَتْ بِخَجَلٍ شَـدِيدٍ وحَيَـاءٍ ومَهَابَـةٍ مِـنْ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ، فَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً لِتَعْتَذِرَ إليهِ.

ولَمَّا اقْتَرَبَتْ مِنَ الْبَيتِ لَمْ تَجِدْ على بَابِـهِ بَـوَّابِيْنَ ولا حُرَّاسـاً، فَقَالَتْ: يا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أعْرِفْكَ.

فَبَيَّنَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ أنَّ الصَّبْرَ الْكَامِلَ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عليهِ الأجْرُ هُوَ صَبْرُ الْمَرْءِ عِنْدَ وقُوعِ الْمُصِيبَةِ، وقَالَ لَهَا: «إنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى».

* * * * *

صَبْرٌ ورَحْمَةٌ

دَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ ومَعَهُ بَعْضُ أصْحَابهِ على ابْنِهِ إبْرَاهِيمَ فَوَجَدَهُ يحْتَضِرُ، فَبَكَى الرَّسُولُ ﷺ، وجَرَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيه، وظَنَّ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أنَّ رِقَّةَ الْقَلْبِ ودَمْعَ الْعَينِ مِنْ عَلامَاتِ الْجَزَعِ وعَدَمِ الصَّبْرِ.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وأنْتَ يا رَسُولَ اللَّه؟! فَبَيَّنَ لَهُمْ ﷺ حَقِيقَةَ الأمْرِ، فقَالَ: «يابْنَ عَوْفٍ! إنَّهَا رَحْمَةٌ، إنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، والْقَلْبَ يحْزَنُ، ولا نَقُولُ إلا ما يُرْضِي رَبَّنَا، وإنَّا بِفِرَاقِكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

وذاتَ يوم، أرْسَلَتْ إحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ إليه تَقُولُ: إنَّ ابْناً لِي قُبِضَ فَأتِنَا. فَأرْسَلَ إليهَا ﷺ مَنْ يقْرِئُهَا السَّلامَ، ويقُولُ لَهَا: «إنَّ للَّه مَا أخَذَ ولَهُ مَا أعْطَى، وكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِأجَلٍ مُسَمَّى، فَلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ».

فَأصَرَّتْ على أنْ يأتِيهَا ﷺ. فَقَامَ ﷺ ومَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَة، ومُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وزَيدُ بْنُ ثَابِتٍ وغَيرُهُمْ، وتَوَجَّهُوا إلى بَيتِهَا، ولَمَّا رَأى ﷺ الصَّبِيَّ وهُوَ يمُوتُ بكَى، وفَاضَتْ عَينَاهُ بِالدُّمُوعِ فَقَالَ سَعْدٌ: يا رَسُولَ اللَّه! مَا هَذَا؟ فَقَالَ ﷺ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وإنَّمَا يرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».

صَبْرٌ وجَنَّةٌ

خَرَجَ حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ مَعَ جَيشِ الْمُسْلِمِينَ يومَ بَدْرٍ، فَأصَابَهُ سَهْمٌ فَقُتِلَ شَهِيداً.

وجَاءَتْ أُمُّهُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يا نَبِيَّ اللَّهِ! ألا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؛ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ واحْتَسَبْتُ، وإِنْ كَانَ غَيرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عليهِ فِي الْبُكَاءِ.

فَقَالَ لَهَا النَّبِي ﷺ: «يا أُمَّ حَارِثَةَ! إنَّهَا لَيسَتْ بِجَنَّةٍ واحِدَةٍ، ولَكِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وإِنَّ ابْنَكِ أصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى».

فَقَالَتْ أمُّ حَارِثَة: بَخٍ بَخٍ يا حَارِثَةَ. (بَخٍ: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ الرِّضَا والإِعْجَابِ).

ورَجَعَتْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهِي صَابِرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ رَاضِيَةٌ بِدُخُولِ ابْنِهَا حَارِثَةَ الْجَنَّةَ.

قَبْلَ الحِسَابِ

يُرْوَى أنَّهُ فِي يومِ الْقِيامَةِ.. حِينَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ لِيحَاسِبَهُمْ على أعْمَالِهِمْ، يُنَادِي مُنَادٍ: أينَ الصَّابِرُونَ لِيدْخُلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحِسَابِ؟

فَيقُومُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، وتُقَابِلُهُمْ الْمَلائكَةُ، فَتَقُولُ لَهُمْ: إلى أيْنَ يا بَنِي آدَمَ؟ فيقُولُونَ: إلى الْجَنَّةِ. فَتَقُولُ الْمَلائكَةُ: قَبْلَ الحِسَابِ؟!

فَيقُولُونَ: نَعَمْ. فَتَسْألهُمُ الْمَلائِكَةُ: ومَنْ أنْتُمْ؟

فَيقُولُونَ: نَحْنُ الصَّابِرُونَ.

فَتَسْأَلُهُمُ الْمَلائكَةُ: ومَا كَانَ صَبْرُكُمْ؟ فَيقُولُونَ: صَبَرْنَا على طَاعَةِ اللَّـهِ، وصَبَرْنَا عَنْ مَعْصِيةِ اللَّهِ، حتى تَوفَّانَا اللَّهُ.

فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: أنْتُمْ كمَا قُلْتُمْ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ أجْرُ العَامِلِيْنَ.

ويَشْهَدُ لِهَذَا قَولُ اللَّهِ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

* * * * *

صَبْرٌ وحَياءٌ

ذَاتَ مَرَّةٍ، سَارَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهما ـ مَعَ تَلْمِيذِهِ عَطَاءِ بْنِ أبِي رَبَاحٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَطَاءٍ: ألا أُرِيكَ امْـرَأةً مِـنْ أهْلِ الْجَنَّةِ؟ فقَالَ عَطَاءٌ: بَلَى. فَأشَارَ ابْـنُ عَبَّـاسٍ إلى امْـرَأةٍ طَويلَـةٍ سَـوداءَ، وقَالَ: هَذِهِ الْمَرْأةُ السَّوداءُ.

ثُمَّ رَاحَ يَقُصُّ عليهِ قِصَّتَهَا، فَأخْبَرَهُ أنَّهَا إحْدَى الصَّحَابِيَّاتِ الطَّـاهِرَاتِ، ابْتَلاهَا اللَّهُ بِمَرَضِ الصَّرَعِ فَذَهَبَتْ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقَالَتْ لَهُ: إنِّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. فَقَالَ لَهَا الـنَّبي ﷺ: «إنْ شِـئْتِ صَـبَرْتِ ولَـكِ الْجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوتُ اللَّـهَ أنْ يعافِيَـكِ». فَاخْتَـارَتِ الْمَـرْأةُ الصَّـالِحَةُ أنْ تَصْبِرَ على مَرَضِهَا مَادَامَ جَزَاءُ صَبْرِهَا الْجَنَّةَ، وقَالَتْ: أصْبِرُ يـا رَسُـولَ اللَّـهِ. لَكِنَّ مَلابِسَهَا كَانَتْ تَتَكَشَّفُ حِـينَ يأتِيْهَـا الصَّـرَعُ، فَقَالَـتْ لِلنَّبِـيِّ ﷺ: إنِّـي أتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِيْ ألاَّ أتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا ﷺ. وهكَذَا صَبَرَتِ الْمَـرْأةُ علـى مَا أصَابَهَا مِنْ مَرَضِ الصَّرَعِ، إلاَّ أنَّ حَياءَهَا مَنَعَهَا أنْ تَصْبِرَ عَلَى أنْ يَتَكَشَّـفَ جُزْءٌ مِنْ بَدَنِهَا، فَطَلَبَتْ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أنْ يدْعُوَ اللَّهَ أنْ يسْـتُرَ عَوْرَتَهَـا فَـلا يَظْهَرُ مِنْ بَدَنِهَا شَيءٌ، وهكَذَا الْمُؤمِنُ دَائمًا صَبُورٌ حَيِيٌّ.

دَرْسٌ فِي الصَّبْرِ

يُحكَى أنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيرِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ أُصِيبَتْ إحْدَى رِجْلَيْهِ بِمَرَضٍ خَطِيرٍ، فَأشَارَ عليهِ الأَطِبَّاءُ بِقَطْعِ رِجْلِه الْمُصَابَة، وإلاَّ انْتَشَرَ الْمَرَضُ إلى سَائِرِ جَسَدِهِ. فوافَقَ عُرْوَةُ، وقَامَ الأطِبَاءُ بِقَطْعِ رِجْلِهِ وهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ.

ودَخَلَ أحَدُ أوْلادِهِ حَظِيرَةَ الدَّوَابِّ، فَضَرَبَتْهُ دَابَّةٌ؛ فَوَقَعَ مَيتاً، ولَمَّا عَلِمَ عُرْوَةُ بِمَوتِ ابْنِه تَوجَّه إلى اللَّهِ قَائلاً:

اللَّهُمَّ إنَّهُ كَانَ لِي أطْرَافٌ أربَعَةٌ، فَأخَذْتَ واحِدًا وأبْقَيتَ ثَلاثَةً، فَلَكَ الْحَمْدُ، وكَانَ لِي بَنُونَ أرْبَعَةٌ، فأخَذْتَ واحِدًا وأبْقَيتَ لِي ثَلاثَةً، فَلَكَ الْحَمْدُ.. ولَئِنْ أخَذْتَ لَقَدْ أبْقَيْتَ، ولَئِنِ ابتَلَيْتَ طَالَمَا عَافَيْتَ.

وهكَذَا يَضْرِبُ لَنَا عُرْوَة مَثَلاً رَائِعًا فِي تَحَمُّلِ الأذَى والصَّبْرِ على الْمَكَارِهِ؛ فَقَدِ ابْتُلِيَ فِي بَدَنِه بِقَطْعِ رِجْلِه فَصَبَرَ، وابْتُلِيَ فِي أبْنَائِهِ بِمَوتِ وَلَدِهِ فَصبَرَ، فَكَانَ واحِدًا مِمَّنْ صَدَقَ فِيهِمْ قَولُ اللَّهِ تَعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

* * * * *

صَبرٌ فِي طَاعَةٍ

حُجِبَتِ الشَّمْسُ وحَدَثَ لَهَا كُسُوفٌ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وصَحَابَتُهُ يصَلُّونَ صَلاةَ الْكُسُوفِ. وأطَالَ النَّبِيُّ ﷺ تلْكَ الصَّلاةَ، فَقَامَ قِيامًا طَويلاً؛ يقْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَرْكَعُ ثُمَّ يَقُومُ، فَيسْجُدُ، وفَعَلَ ذَلكَ فِي الرَّكْعَتَينِ.

وكَانَتِ السَّيدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكرٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ مَعَ النِّسَاءِ يُصَلِّينَ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وصَحابَته، وكَانَتْ تُصَلِّي إلى جِوَارِهَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ وامْرَأَةٌ أُخْرَى مَرِيضَةٌ.

وشَعَرَتِ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِالتَّعَبِ مِنْ طُولِ القِيامِ، فَفَكَّرَتْ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي إلى جِوارِهَا، وهِي أَكْبَرُ مِنْهَا سِنًّا: كَيفَ تَصْبِرُ على أدَاءِ صَلاةِ الكُسُوفِ الطَّويلة خَلْفَ النَّبِيِّ، وتَفَكَّرَتْ فِي الْمَرْأةِ الأخْرَى الضَّعِيفَةِ الْمَرِيضَةِ الَّتِي تَحْرِصُ على الصَّلاة مِنْ غَيرِ أَنْ يبْدُوَ عليهَا شَيءٌ مِنَ الْمَلَلِ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ فِي نَفْسِهَا: أَنَا أَحَقُّ أَنْ أَصْبِرَ على طُولِ الْقِيامِ مِنْهُمَا.

وهكَذَا تَحمَّلَتِ التَّعَبَ والقِيامَ فِي الصَّلاةِ، وصَبَرَتْ على طَاعَةِ اللَّهِ وعِبَادَتِه.

دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ

سَمِعَتِ السَّيِّدَةُ أمُّ سَلَمَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ حَدِيث رَسُولِ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إنَّا للَّهِ وإنَّا إليهِ رَاجِعُون. اللَّهُمَّ أجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، واخْلِفْ لِي خَيرًا مِنْهَا، إلاَّ أجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وأَخْلَفَ لَهُ خَيرًا مِنْهَا». فَحَفِظَتْهُ جيِّدًا ووَعَتْهُ.

وبَعْدَ فَتْرَةٍ، تُوُفِّي زَوْجُهَا أَبُو سَلَمَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ فَكَانَتْ تَقُولُ: أيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيرٌ مِنْ أبِي سَلَمَةَ؟! وصَبَرَتْ واحْتَسَبَتْ، ودَعَتْ بِالدُّعَاءِ الَّذي أمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

ولَمَّا مَضَى على وفَاةِ أبِي سَلَمَة أرْبَعةُ أشْهُرٍ وعَشْرَةُ أيامٍ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وتكَفَّلَ بِأيتَامِهَا، فَكَانَتْ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ تَقُولُ: قُلْتُ كَمَا أمَرنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيراً مِنْهُ؛ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وهكَذَا أصْبَحَتْ أمُّ سَلَمَةَ زَوجَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأُمًّا للمُؤمِنِينَ؛ بِفَضْلِ صَبْرِهَا.

* * * * *

قِصَصٌ فِي الصَّبْرِ

الصَّبْرُ كَلِمَةٌ جَمِيلَةٌ، تَنْزِلُ على القُلُوبِ فَتُعْطِيهَا السَّكِيْنَةَ والاطْمِئنَانَ، وتَمْنَحُهَا القُوَّةَ والثَّبَاتَ.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَتحلَّى الْمُسْلِمُ بِخُلُقِ الصَّبْرِ! ويجْعَلَهُ زَاداً لَهُ فِي حَيَاتِهِ على الدَّوَامِ، يقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤمِنُ الَّذِي يخَالِطُ النَّاسَ ويصْبِرُ على أذَاهُمْ أعْظَمُ أجْراً مِنَ الْمُؤمِنِ الَّذِي لا يخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يصْبِرُ على أذَاهُمْ».

وَيجْدُرُ بِنَا حِينَ نَقْرَأُ قِصَصَ الصَّبْرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أنْ نَقِفَ عِنْدَهَا ونَتَأمَّلَهَا، فَنَقْتَدِيَ بِهَا ونَتَأسَّى بِأصْحَابِهَا؛ حتى نَكُونَ مَعَهُمْ، ونُحْشَرَ فِي زُمْرَتِهِمْ.

ولْيحْرَصْ كُلُّ مُسْلِمٍ علَى أَنْ يَجْعَلَ الصَّبْرَ خُلُقاً لَهُ على الدَّوَامِ، وصَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ إذْ يقُولُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

* * * *

سلسلة قصص في الأخلاق

١ - قصص في الأخلاص	١١- قصص في الرحمة
٢ - قصص في الأمـــانة	١٢- قصص في الشجاعة
٣ - قصص في الإيثـار	١٣- قصص في الشُّكر
٤ - قصص في البـِـــر	١٤- قصص في الشُّورى
٥ - قصص في التّعاون	١٥- قصص في الصَّبر
٦ - قصص في التّواضع	١٦- قصص في الصِّدق
٧ - قصص في التّوكل	١٧- قصص في الطّاعة
٨ - قصص في الحبّ	١٨- قصص في العـدل
٩ - قصص في الحِلم	١٩- قصص في العفــو
١٠-قصص في الحيـاء	٢٠- قصص في الكـــرم

٢١- قصص في الوفـاء